الزواج المثالي

بقلم المهندس طوني عبد النور (*)

كثر الحديث اخيرا عن موضوع الزواج، فاذا بنا نشاهد وسائل الاعلام، المسموعة منها والمرئية، تكثف برامجها عن الزواج. وخصوصا الزواج المدني لما له من فائدة عملية تساعد على جمع انسانين من جنسين ودينين مختلفين رغم كل الاختلافات البيئية والطبقية والعرقية والاجتماعية، مما يساهم في ازالة التعصب وتقريب العلاقات والتفاعلات بين الانسان واخيه الانسان ويصهرهما في بوتقة واحدة، مزيلا عقدة التعصب من النفوس، التي استعملها الغريب على ارضنا وسيلة لتدمير بلدنا والسيطرة عليه، حيث عمد الى تقوية النعرات الطائفية عبر بث سموم التفرقة بين ابناء الوطن الواحد.

اما الذين سيساعدون في بناء مجتمع مثالي، مبني على قواعد واسس سليمة بعيدة عن التعصب والتقوقع والمعتقد الديني، فهم:

– رجال المستقبل حملة مشاعل الفكر النهضوي.

– شباب لبنان وفتياته وخصوصا الجيل الصاعد، الذين نعتمد عليهم كثيرا لانهم تذوقوا مأساة الحرب، وعرفوا معنى المعاناة التي من مسبباتها كان التعصب الديني.

– رجال الفكر والقانون عبر وضعهم قوانين تساعد على التقريب بين ابناء الوطن الواحد، والزواج المدني وسيلة من هذه الوسائل.

– دور وسائل الاعلام في توعية مجتمعنا الى الامراض الفكرية والخلقية التي تشوبه ومنها التعصب المذهبي.

– مؤسسات الدولة التي نساهم نحن الشعب في تأسيسها واعادة تنظيمها من جديد.

– البرامج والمناهج المدرسية التي تتضمن وسائل التربية الحديثة والمفيدة في ازالة ما تبقى من سموم التفرقة والجهل من النفوس.

***

هل صحيح كما يقول البعض ان الزواج يتم بعقد او عبر علاقة جنسية او غرامية عابرة؟! ام انه نتيجة علاقة متينة؟ ام، كما يدعي البعض الآخر، انه سر من اسرار الحياة؟! او لانجاب البنين والبنات فحسب؟ تساؤلات عدة يطرحها الانسان من غير ان يجد لها جوابا الا عند الحكماء والمرشدين الذين كرسوا انفسهم لانارة درب الظامئين الى المعرفة. فما كان لهؤلاء الحكماء المختارين الا ان يتجسدوا طوعا لمساعدة اخيهم الانسان في انتقاء نهج التطور والوعي او الطريق الى باطن كل معرفة تهم الانسان وتفيده في تطوير حياته.

تخبرنا علوم الايزوتريك ان لكل كائن بشري هالة كهرطيسية (وقد استطاع العالم الروسي كيرليان تصويرها بواسطة آلة تصوير خاصة قام باختراعها) تحوط بالجسد المادي وتكلله. ونتيجة لهذا التجانب او التصادم بين هالتين تكون ردة الفعل ايجابية او معاكسة كسماعنا لمعزوفة موسيقية او مشاهدتنا للوحة فنية نتفاعل سلبا او ايجابا نتيجة لما تضفيه على حواسنا.

وهنا يتساءل الانسان كيف يمكنه ان يلتقي نصفه الآخر؟ ما هو السبيل او الطريق ليجد مكملته؟ كيف يمكنه ولوج هذا العالم الجديد؟

الانسان الذي يبغي الزواج، لا يبحث عن الجمال الخارجي فقط بل ذلك الجمال الداخلي الذي يعكس الجوهر، ذلك الحب الروحي الاصيل الذي يدغدغ العقول، وينعش القلوب ويضفي بريقا اخاذا في العيون فتحمر الخدود نشوة بطلوع "شمس الحب".

انه حب احتراق، حب ذوبان، يطرق باب القلوب دون إذن بالدخول، يتربع على عرشها ويدفع انسانها لايجاد نصفه الآخر الذي فقده مع اطلالة مشوار الحياة على الارض.

يقول الدكتور جوزف مجدلاني عنه في كتابه "همس الحب" (منشورات اصدقاء المعرفة البيضاء): انه الشعور المبارك الذي يجمع قلبين، ويأسرهما برباط شفاف شفافية النور، ومتين متانة عشق الشمس للنور، ولا يعتقهما الا بعد ان يصهرهما في موئلهما الازلي، القلب الاكبر الذي اوجدهما.

الحب معبر الى التكامل الانساني، دربه خطتها قلة من رواد المجتمع الذين اختبروا الحياة وتوصلوا الى معرفة هدف الوجود، الا وهو الوعي والتطور في الوعي لاجل اكتساب الحكمة.

الزواج مثالي حيث تأتي المطارحة الغرامية، نتيجة لتناغم مكونات الوعي الخفية في الانسان، وليس نزوة جنسية تزول بعيد انتمائها.

الزواج تكامل واكتمال، طريقه عطاء، ودربه محبة، وفعله تضحية، ومن حوى المحبة اصبح المحتوى والمحتوي، عندما تشرق شمس الوعي ويلوح في الافق بريق جديد، وترسم على ثغر الوجود بسمة باقتران فكرهما ومشاعرهما، فيعزف القلبان لحن الوجود وترنم الشفاه انشودة المحبة.

فلا اللذة ولا الشهوة ولا المال ولا السلطة ولا محبس موضوع في اصبع يربط بين اثنين، بل الحب الروحي، الحب الاصيل الذي يبرعم ويزهر ويثمر ثمارا تحوي بذارا قادرة على ان تجدد العطاء. من عرف العزف على اوتاره ابتهلت له الحياة ووهبته من ثمارها، فالاولاد بسمة الحياة، هم اكاليل ورد يزين صرح الوجود نتيجة حب تخطى عالمنا المنظور.

تبارك كل من تماشى اختياره مع الهدف المقدس، ولينعم علينا الحب الاصيل بنقائه ورهافة احاسيسه.

(* ا) ستاذ في الجامعة اللبنانية